

خطبة الجمعة - الخطبة ٧٧٣ : استجيبوا الله ولرسول .

لضييلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٠-١٢-٢٩

## بسم الله الرحمن الرحيم

### الخطبة الأولى:

الحمد لله نحده، ونسعى به ونسترشد، ونحوذ به من شرور أنفسنا، وسُيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له، ومن يضل فلن تجد له ولياً مرشدًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إقراراً بربوبيته، وإكراهاً لمن جد به وكفر، وأشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله سيد الخلق والبشر، ما اتصلت عين بنظر، أو سمعت أذن بخبر، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، وعلى ذريته ومن والاه ومن تبعه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا احتسابه، واجعلنا من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

### من لم يكن على الحق فهو على الباطل حتماً :

أيها الأخوة الكرام: مضى رمضان، هنيئاً لمن صامه كما أراد الله، ولمن قام ليلاً كما أراد الله، وهنيئاً لمن كان عتيقاً من النار في رمضان، وهناك فرص تتلوها فرص لمن قصر في رمضان، أي شهر في العام يمكن أن يكون للمقصر رمضان، فالله عز وجل موجود، وهو يسمعك إذا دعوته، وهو يستجيب لك إذا سأله، وهو يتوب عليك إذا تبت، فيما إليها الأخوة الكرام تفتح الآن صفحة جديدة للسابق والمقصري، ولمن ظلم نفسه في رمضان، تفتح صفحة جديدة وإذا أردت أن تتحرك حركة باتجاه الحق رأيت الله عز وجل يستجيب لك أيماء استجابة.

من تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً، ومن تقرب إلى ذراعاً تقربت إليه باعاً، ومن أتاني مشياً أتته هرولة، هذا في رمضان وفي غير رمضان وفي أي شهر من شهور العام.

موضوع هذه الخطبة إليها الأخوة آيات ثلاثة ، الآية الأساسية التي هي محور الخطبة:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَبْرِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

ولكن قبل أن أشرح هذه الآية بتوفيق الله ومعونته هناك آية ثانية، الآية الثانية:

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

الأمر استجيبوا :

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

إن لم تكن على الحق فهذا الإنسان على الباطل حتماً، إن لم يكن مستجيباً لله فهو يتبع الهوى، لا تحابي نفسك، لا تعيش في وهم مريخ، كن جريئاً، اعرف الحقيقة المرة ولا تبالي باللوهم المريخ، إن لم تستجب الله في قرآن، وإن لم تستجب للرسول في سنته، فأنت متبع للهوى شئت أم أبيت، أعجبك أم لم يعجبك، قبلت أم لم تقبل، هكذا نص القرآن الكريم.

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

## من لوازم اتباع الهوى وقوع الإنسان في الظلم :

وماذا يكون لو اتبعت الهوى؟ قال تعالى:

﴿وَمَنْ أَضْلَلْ مِنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

ليس في الأرض كلها من هو أشد ضلالاً وغباء وحمقاً وبعداً عن المنطق ومن يتبع هواه بغير هدى من الله، وقد يستبط من هذا أن من يتبع هواه وفق هدى الله عز وجل فلا شيء عليه، اشتته المرأة فتزوج، لا شيء عليه، أحب المال فكسبه بطريق مشروع، لا شيء عليه، أحب أن يكون متميزاً فأطاع الله، هذه الدوافع الثلاثة.

﴿وَمَنْ أَضْلَلْ مِنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

معنى ذلك أن اتباع الهوى لابد من أن ينتج عنه ظلم بشكل أو آخر، قد يكون ظلم النفس، وقد يكون ظلم الآخرين، والظلم ظلمات يوم القيمة، اتباع الهوى من لوازمه أن يقع الإنسان في الظلم، وظلم النفس أشد أنواع الظلم، وظلم الآخرين ذنب لا يترك، ما لم يصحح هذا الذنب، ما لم تعذر، مالم تؤد الحقوق، وإذا قال الله عز وجل:

﴿يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾

[سورة الأحقاف: ٣١]

أي بعض ذنوبكم التي بينكم وبينه، أما التي بينكم وبين عباده فلا تغفر إلا بالأداء أو بالمسامحة، وكل أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تعني أنك إذا حججت إلى بيت الله الحرام رجعت من ذنوبك كيوم ولدتك أمك، أو من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر الله له ذنبه، الذي بينك وبين الله فقط، هذا بإجماع العلماء، لأن هناك ذنباً لا يغفر هو الشرك، وذنباً لا يترك هو الذي بينك وبين العباد، وذنباً يغفر وهو الذي بينك وبين الله، أي كان حقوق العباد مبنية على المشاجحة، إنما حقوق الله عز وجل مبنية على المسامحة.

## على الإنسان أن يستجيب لله ولرسوله في الأوامر والنواهي :

أيها الأخوة الكرام:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

حيثما جاءت الله ولرسول، أي استجيبوا الله في أوامره ونواهيه التي في القرآن، وهو كلامه، واستجيبوا للرسول عليه الصلاة والسلام في سنته أمراً ونهياً، إذاً عندنا أصلان في الدين لا ثالث لها، كتاب الله وسنة رسوله :

﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

معنى استجيبوا أي أطعوها، اضبطوا، نفذوا التزموا، لابد من حركة، ما دمت مستمعاً للأقوال معجبًا بها وتنشي على قائلها، وقد أعجبت بهذا الكتاب، وبهذه المحاضرة، وهذا المؤتمر، وهذا البحث، وهذا الشريط، وهذا الموقف، إعجابك لا يقدم ولا يؤخر ما لم تتحرك، ما لم تتخذ موقفاً.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلَائِتُهُمْ مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا﴾

[سورة الأنفال: ٧٢]

لابد من أن تقف موقفاً، لابد من أن تعطي الله، وأن تمنع الله، لابد من أن تغضب الله، وأن ترضي الله، لابد من أن تصل لله، وأن تقطع الله، لابد من أن تقف موقفاً، لابد من أن تتحرك، وأي إيمان ما إن يستقر في قلب المؤمن إلا يعبر عن ذاته بحركة نحو الخلق، فإن لم تكن هناك حركة فليس ثمة إيمان، ليس في ديننا إيمان سكوني، إيمان سلبي، إيمان إعجابي، إيمان أساسه الإطلاع فقط دون الحركة، لابد من أن تستجيب، لابد من أن تأخذ موقفاً، يقول الله عز وجل:

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

[سورة النور: ٣٠]

أين أنت من هذه الآية؟ أن تعجب بهذه الآية، وتسمع لها تفسيراً يأخذ بالأبابل ولم تغض بصرك، لم تستقد شيئاً، لابد من أن تسأل نفسك في كل آية تقرأها أين أنا من هذه الآية؟ هل أنا مطبق لها أم مقصر في تطبيقها؟ هل أنا لا أطبقها أبداً؟ واجه نفسك بالحقيقة المرة فهي أفضل بآلف مرة من الوهم المريح :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

إذا تقييد تحرك الواقع، لا بد من أن يدعوكم.

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُبُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

[سورة النور: ٣٠]

على تقييد أن الله عز وجل ألزم ذاته العلية بأن يدعونا إلى الهدى.

﴿وَلَوْ عِلْمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٣]

﴿وَلَقَدْ وَصَّلَنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾

[سورة القصص: ٥١]

الهدى تولاه الله، لابد من أن يسمعك الحق، في أي وقت وفي أي يوم وفي أي زمان بأنه خلقك ليهديك إليه وليسعدك.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِ إِذَا دَعَكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

إذا تختلف عن إن:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ﴾

[سورة الحجرات: ٦]

قد يأتي وقد لا يأتي، إن تقيد احتمال الواقع، أما:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾

أو :

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرٌ اللَّهُ وَالْفَتْحُ﴾

[سورة النصر: ١]

النصر محقق الواقع.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِ إِذَا دَعَكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

لا بد من أن يدعوكم لأنه خلقكم ليدعوكم إليه وللتتعرفوا عليه.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾

[سورة الطلاق: ١٢]

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَبِيلِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

**الحياة الحقيقة الطيبة هي حياة من استجاب لله ولرسوله ظاهراً وباطناً :**

أيها الأخوة: من خلال هذه الآية نجد أن الحياة النافعة، الحياة الإنسانية الراقية، الحياة التي تليق بك كمخلوق أول، الحياة التي خلقت من أجلها، الحياة التي تقضي بك إلى الجنة، الحياة التي تليق بإنسانينتك، الحياة التي أنت ينبغي أن تكون هكذا، هذه الحياة النافعة لا يمكن أن تحصل إلا بالاستجابة لله ولرسوله، فمن لم تحصل له هذه الاستجابة بالكلمة الكبيرة فلا حياة له :

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

[سورة النحل: ٢١]

أيها الأخوة الكرام: هذا الذي لم يستجب الله، حياته حياة بھيمية، مشتركة بينه وبين أرذل الحيوانات، الحياة الحقيقة الطيبة هي حياة من استجاب الله ولرسوله ظاهراً وباطناً، هؤلاء هم الأحياء وإن ماتوا، وغيرهم الذين لم يستجيبوا لهم أموات وإن كانوا أحياء. يا بنى مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة وأمثالهم في القلوب موجودة، مثل المؤمن وغير المؤمن كمثل الحي والميت، الحياة الحقيقة الطيبة هي حياة من استجاب الله ولرسول في ظاهرها وباطنها، هؤلاء هم الأحياء حقاً وإن ماتوا، وغيرهم ماتوا وإن كانوا أحياء. أيها الأخوة الكرام: إن أكمل الناس حياة أكملهم استجابة لدعوة الرسول، فإن كل ما دعا إليه فيه الحياة الحقيقة، بل من فاته جزء منه فانته أجزاء من الحياة الحقيقة.

من معاني قوله تعالى : لما يُحِبِّيكُمْ :

## ١ – الحق :

أما قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِبُوْلَهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

ما الذي يحيينا؟ قالوا الحق، ما الحق؟ الشيء المستمر، الثابت، الذي لا يتبدل ولا يتغير على اختلاف العصور، والأمكنة، والأزمنة، والأصقاع، والأمسار، قبل التطور وبعد التطور، قبل التقدم وبعد التقدم، الحق شيء ثابت، وما يتميز به المسلم أن في حياته ثوابت لا تتبدل ولا تتغير، مبادئ ثابتة، حقائق وقيم ثابتة، منهج وطريق وهدف ثابت، فالحق هو الثبات والاستقرار، حق الشيء استقر.

﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

فالذي يحيينا هو الحق، والله هو الحق، فإذا أقبلت عليه أو اتصلت به، إذا سأله واعتمدت عليه، إذا التجأت إليه، إذا استسلمت له، إذا علقت الأمل على فعله، فأنت على الحق، إذا التجأت إلى غيره فأنت على الباطل:

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾

[سورة الإسراء: ٨١]

مهما يكن الباطل كبيراً فهو زهوق، مهما يتعدد الباطل ملبار باطل وأكبر باطل إلى زوال :

﴿إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾

[سورة الإسراء: ٨١]

الباطل هو الشيء الزائل، والحق هو الشيء الثابت، فبعض العلماء ومنهم مجاهد فسرَّ معنى قوله تعالى:

﴿لِمَا يُحِبِّيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

أي للحق، استجيبوا للحق، للثواب، سمعت محاشرة في بلد غربي خطيرة جداً تقول: إن كل شيء في بلدنا متبدل غير ثابت، خاضع للمناقشة، وخاضع للرد وللرفض، خاضع... لا يوجد بالمجتمع شيء ثابت، كل شيء متتطور ومتبدل، وهذا الذي أوقع العالم العربي في مستنقع آسن، الهواء يحرك، ثم يكتشف بعد فوات الأوان أن هذا الهواء مدمر، هذا المعنى الأول أيها الأخوة.

## ٢ – القرآن الذي هو منهج الله و كلامه :

المعنى الثاني جاء به قتادة رحمه الله تعالى قال: إنه القرآن منهج الله وكلامه، وفضل كلام الله على خلقه كفضله على خلقه.

﴿اسْتَجِبُّو لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

هو كتاب الله :

﴿يَهْدِي لِلّٰتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾

[سورة الإسراء: ٩]

﴿يَهْدِينِي سَوَاءَ السَّبِيلُ﴾

[سورة القصص : ٢٢]

من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن قرأه وعلمه كان في أعلى علّيin :

(( خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلِمَهُ ))

[البخاري عن عثمان]

كلام خالق الأكون، فيه أمر ونهي ووصف وتاريخ وإعجاز، فيه حلال وحرام وآية كونية وآية تكوينية.

﴿اسْتَجِبُّو لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

إنه القرآن كما قال قتادة، ففي القرآن حياة للقلب، وثقة بالمستقبل، ونجاة من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وعصمة في الدنيا والآخرة، لا يحزن قارئ القرآن :

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَىِي فَلَا يَضُلُّ وَلَا يَشْقَى﴾

[سورة طه: ١٢٣]

لا يضل عقله، ولا تشقي نفسه.

استجبوا الله ولرسول .

## ٣ – الإسلام :

وقال بعض العلماء :

﴿لَمَا يُحِبِّيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

هو الإسلام، أحياناً الله الناس به بعد موتهم وبعد كفرهم.

## ٤ – الحرب التي أعزتنا الله بها بعد الذل :

وقال بعضهم:

﴿لَمَا يُحِبِّيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

الحرب التي أعزكم الله بها بعد الذل، وقواكم بعد الضعف، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر منكم وأنتم تشاهدون وتسمعون وتقرؤون: أنه لا سبيل إلا أن ننتزع حقنا، إلا أن نصحي بالغالي والرخيص والنفس والنفيس، وكأن الأعداء لا يفهمون إلا لغة القوة، وكل الطرق كالمفاوضات والحوارات طرق مسدودة، وهذا بالدليل القاطع.

أيها الأخوة الكرام:

﴿لَمَا يُحِبِّيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

هي الحرب التي أعزكم بها بعد الذل، وقواكم بعد الضعف، ومنعكم بها من عدوكم بعد القهر، كل هذه العبارات الحق والقرآن والإسلام وال الحرب تدور حول محور واحد، أي إذا دعاكم لإحياء أمركم بجهاد عدوكم، ودعواكم إلى إحياء أمركم بسنة نبيكم، وبقرآنكم، وباتباع الحق الثابت.

## ٥ – الجهاد :

أيها الأخوة الكرام: قال بعض العلماء: الجهاد من أعظم ما يحبهم في الدنيا وفي البرزخ وفي الآخرة، أما في الدنيا فإن قوتهم وقهرهم لعدوهم بالجهاد، وأما في الآخرة:

﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قُتُلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾

[سورة آل عمران: ١٦٩]

وأما في الآخرة فإن حظ المجاهدين والشهداء من حياتها ونعمتها أعظم من حظ غيرهم.

## ٦ – الشهادة في سبيل الله :

وقد قال بعض العلماء:

## ﴿لَمَا يُحِبِّيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

أي الشهادة في سبيل الله، لأنكم بها تحبون حياة أبدية.

## ٧ – الجنة :

وقال بعض المفسرين:

## ﴿لَمَا يُحِبِّيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

أي الجنة، فإنها الدار الحقيقة، وفيها الحياة الدائمة الطيبة كما حكاه الجرجاني، ولكن الأصح من هذا كله أن الآية الكريمة تتناول هذا كله: فإن الحق والإيمان والإسلام والقرآن والجهاد يحيي القلوب الحياة الطيبة، بل يجعلها تحيا كمال الحياة في الجنة.

## لإنسان نوعان من الحياة حياة الأبدان وحياة القلوب :

إذاً الإنسان لابد له من نوعين من الحياة حياة بدنه التي بها يدرك النافع والضار، ويؤثر ما ينفعه على ما يضره، ومتى نقصت فيه هذه الحياة ناله من الألم والضعف حسب ذلك، ولذلك كانت حياة المريض والمحزون وصاحب الهم والغم والخوف والفقر والذل دون حياة من هو معافى من ذلك، هذه حياة الأبدان، الحياة الدنيا، الحياة المادية، وأما حياة القلب والروح التي بها يتميز الحق من الباطل، والغي من الرشاد، والهدى من الضلال، فيختار الحق على ضده، فتقيد هذه الحياة قوة التمييز بين النافع والضار في العلوم والإفرادات والأعمال، وتقيده قوة الإيمان والإرادة والحب وقوة البعض والكرابة للباطل، يجب أن نعلم اليقين لابد من حياة للأجسام، ولا بد من حياة للقلوب، بل إن في الإنسان جوانب ثلاثة، جانب جسمي غذاؤه الطعام والشراب، وجانب عقلي غذاؤه العلم، وجانب نفسي غذاؤه الحب والإيمان، فأي إنسان يغذي جوانبه الثلاثة تغذية متوازنة فهو المتفوق، وأي إنسان يغذي جانباً ويهمل جانبياً، أو يغذي جانبياً ويهمل جانباً فهو المتطرف الذي نما فيه جانب على حساب جانب آخر، والعبرة بالتوزن لا بالطرف.

## التمييز أول ثمرات الحق وثمرات القلب :

أيها الأخوة الكرام: حينما تميز بين الحق والباطل فأنت تعيش حياة القلب، حينما تميز بين الخير والشر ففي قلبك حياة، حينما تميز بين ما ينبغي وما لا ينبغي فأنت على نور من الله عز وجل، حينما تميز فالتمييز وحده حياة، أنت حينما تسمع نصاً تميز الخطأ من الصواب فأنت على علم، طبعاً حينما تميز بين الطعام الطيب والطعام غير الطيب فأنت على ذوق، حينما تميز بين الحق

والباطل فأنت على حق، موضوع التمييز خطير جداً، أول ثمرات الحق وثمرات القلب أنك تميز، من هنا كان عليه الصلاة والسلام يقول:

(( عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قام من الليل يصلّي يقول:... اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه..... ))

[مختصر تفسير ابن كثير اختصار الصابوني عن عائشة ]

أيها الأخوة الكرام: إذا بطلت حياة القلب بطل التمييز، وكان من جملة الأموات، وعندئذ لا بد من أن نقف وقفه متأنياً عند قوله تعالى:

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾

[سورة النحل : ٢]

دعاة الله روح لجسمك، روح لذاتك، أنت من دون دعوة الله لك، ومن دون أن تستجيب لهذه الدعوة ميت، إن استجبت فأنت حي، سمي الله دعوته رواحاً.

﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾

[سورة النحل : ٢]

آية ثانية:

﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾

[سورة غافر : ١٥]

آيةثالثة:

﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادَنَا﴾

[سورة الشورى: ٥٢]

وحبيه روح لك، ومن دون هذا الوحي فالإنسان ميت ولو كان يتمتع بأعلى مستويات الصحة، هو عند الله ميت، وقد قال الله عز وجل:

﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾

[سورة النحل: ٢١]

فكتاب الله وحبيه وسنة نبيه روح، فإن استجبت فأنت حي، ولو لا تملك من الدنيا شيء، إنك حي ورب الكعبة.

أيها الأخوة الكرام: يقول الله عز وجل:

﴿أَوَمَنْ كَانَ مِنْنَا فَأَحْيَيْنَا وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾

[سورة الأنعام : ١٢٢]

فجمع له بين النور والحياة كما جمع لمن أعرض عنه بين الموت والظلمة، وقد أجمع جميع المفسرين أن هذه الآية تعني أنه كان كافراً ضالاً فدهاه الله.

﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾

[سورة الأنعام : ١٢٢]

من كان كافراً ضالاً فهداه الله.

تفسير قوله تعالى : وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ :

أما هذا النور الذي يقذف في قلب المؤمن والذي تؤكده آيات كثيرة وهذه من أبرزها:  
﴿وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾

[سورة الأنعام : ١٢٢]

قال بعض المفسرين إنه يمشي في الناس بالنور وهم في الظلمات، هو في نور ساطع وهم في ظلمات بعضها فوق بعض، وهناك معنى آخر أنه يمشي بهم في نوره فهم يقتبسون من نوره، ويمشون على الصراط المستقيم، مشع هاد يقدم الحقيقة ناصعة لما قذف الله في قلبه من نور، هذا المعنى الثاني، المعنى الثالث: يمشي بنوره يوم القيمة على الصراط إذا بقي أهل الشرك والنفاق في ظلمات شركهم ونفاقهم.

من معاني قوله تعالى : وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَبْلِهِ :

١ – قلوب العباد بيد الله لصالح العباد :

أما قوله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَبْلِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء لكن لصالح العباد، فلو أن الإنسان أراد أن يعمل عملاً طيباً، أراد أن يتوب إلى الله، يمتليء قلبه انشراحًا وغبطه وسروراً، أما إذا أراد أن يفعل شيئاً لا يرضي الله يملأ الله قلبه ضيقاً وقلقًا وخوفاً، قلوب العباد بيد الله لصالح العباد، كأن الله أعنهم أن جعل قلوبهم بين إصبعين من أصابعه، فإن أردت أن تفعل شيئاً طيباً ملأ الله قلبك انشراحًا وغبطه واطمئناناً وسروراً، وإن أردت أن تفعل شيئاً قبيحاً ملأ الله قلبك ضيقاً وحرجاً وقلقًا وخوفاً، هذا معنى قوله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَبْلِهِ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

قلبك بيد الله لصالحك ولصالحك إيمانك، من أجل تربيتك، من أجل أن يشجعك إن فعلت شيئاً طيباً، أو أن يخيفك إن فعلت شيئاً سيئاً.

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعُصْبَانَ﴾

[سورة الحجرات: ٧]

## ٢ – الله تعالى يعلم كل ما خفي عن الإنسان :

أيها الأخوة الكرام: معنى آخر من معاني قوله تعالى:

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَبْلِهِ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

أي أن كل خاطر ورد إليك، و الله تعالى يعلم كل ما خفي عنك.

أيها الأخوة الكرام: ورد عن الإمام علي كرم الله وجهه أن الشرك أخفى من دبيب النملة السمراء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، وأنناه أن تحب على معصية، وأن تبغض على عدل، فكل خواطرك:

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾

[سورة غافر: ١٩]

علم ما كان، وعلم ما يكون، وعلم ما سيكون، وعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون.

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَبْلِهِ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

لا تخفي عليه خافية :

﴿يَوْمَئِذٍ تُعَرَّضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةً﴾

[سورة الحاقة: ١٨]

## دعوة الله عز وجل للإنسان للحياة الحقيقة :

أيها الأخوة الكرام: يقول الله عز وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

أي أطیعوه في قرآن :

﴿وَلِرَسُولِ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

أي في سنته :

﴿إِذَا دَعَكُمْ لِمَا يُحِبِّيكُمْ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

دعائمك للحياة الحقيقة :

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَبْلِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[سورة الأنفال: ٢٤]

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ مَنْ اتَّبَعَ هُوَ أَهْوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنْ اللَّهِ﴾

[سورة القصص: ٥٠]

## مراحل الدعوة الربانية للإنسان :

### ١ – الدعوة البيانية :

بقي شيء آخر أيها الأخوة: آية ثالثة تكمل هاتين الآيتين وهي:  
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ﴾

[سورة الأعراف: ٩٥]

الله عز وجل أرسلنبياً معه بيان ومنطق ودلالة، أهلها أعرضوا وكذبوا، هم على شهواتهم  
قائمون، منهج الله يحول بينهم وبين شهواتهم، فحينما كذبوا قال :  
﴿إِلَّا أَخْذَنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَرَّعُونَ﴾

[سورة الأعراف: ٩٥]

كأن الله عز وجل له سياسة مع خلقه أول شيء يدعوه دعوة بيانية، كلام خطبة تُلقى، درس  
تسمعه بشرط، كتاب تقرأه، ناصح ينصحك، واعظ يعظك، عالم يبين لك، هذه دعوة الله البيانية  
دعوة سلمية، عليك أن تستجيب الله إن استجبت لم يعد هناك آية مشكلة :  
﴿مَا يَفْعُلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْنَتُمْ﴾

[سورة النساء: ١٤٧]

### ٢ – التأديب التربوي :

إن لم تستجب تطبق عليك سياسة ثانية يقول الله عز وجل:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخْذَنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَرَّعُونَ﴾

[سورة الأعراف: ٩٥]

إذا دُعيت دعوة بيانية عليك أن تستجيب، فإن لم تستجب دخلت في معاملة ثانية :  
﴿أَخْذَنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾

[سورة الأعراف: ٩٥]

الشدائد، الأمراض، الخوف، القلق :

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ أَمْنَةً مُطْمَنَةً يُؤْتَيْهَا رِزْقُهَا رَغْدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

[سورة النحل: ١١٢]

**﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يُلْسِكُمْ شَيْعًا وَيَنْذِيقَ بَعْضَكُمْ بِأَسْبَاعِ بَعْضٍ﴾**

[سورة الأنعام: ٦٥]

المرحلة الأولى: الدعوة البيانية، كمال هذه المرحلة أن تستجيب وأنت في بحبوحة، وأنت في سلامه، وأنت موفر الكرامة، فإن لم تستجب أحضرت نفسك إلى عمل جراحي، يقول لك الطبيب: هذا المرض يعافى بالأدوية فإن لم تأخذها لا بد من عمل جراحي بالضبط قال:

**﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخْذَنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضْرَبُونَ﴾**

[سورة الأعراف: ٩٥]

إن تضرعت وتبت نجوت.

### ٣ – الإكرام الاستدراجي :

إن لم تتضرع، ومن لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر قال:

**﴿ثُمَّ بَذَلَنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ﴾**

[سورة الأعراف: ٩٥]

تأتي الدنيا وهي راغمة بمالها، بنسائها، بأمجادها، بكل ما فيها من جمال.

**﴿ثُمَّ بَذَلَنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةِ حَتَّىٰ عَفَوا﴾**

[سورة الأعراف: ٩٥]

**﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحَنَّا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُتُوا أَخْذَنَاهُمْ بَغْتَةً﴾**

[سورة الأنعام: ٤٤]

هذه الثالثة خطيرة جداً، قد ينجو من الثانية تسعون بالمئة، الشدائد احتمال النجاة منها إلى التوبة تسعون بالمئة، أما الامتحان الثالث فخطير جداً احتمال النجاة منه عشرة بالمئة! إذا بدل الله لك مكان السيئة الحسنة، أعطاك مالاً وفيراً، وعزاً، وجاهها، ونساء، وأولاداً، ومركبات، ومزارع، احتمال النجاة في هذا الإجراء ضعيف جداً.

### ٤ – القسم :

دُعيت دعوة بيانية فلم تستجب، أُدبـت تأدـيبـاً تربـويـاً فـلم تـتـبـ، أـكرـمتـ إـكـراـجيـاً فـلم تـشـكـرـ، ماـذا بـقـيـ؟ القـصـمـ :

**﴿فَأَخْذَنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾**

[سورة الأعراف: ٩٥]

هذه سياسة الله مع خلقه، دعوة بيانية ينبغي أن تستجيب، تأديب تربوي ينبغي أن تتوـبـ، إـكـرامـ استدراـجيـ يـنبـغيـ انـشـكـرـ، فإنـلمـتـستـجـبـ ولمـتـتـبـ ولمـتـشـكـرـ لمـيـقـ إلاـ ضـرـبةـ سـاطـورـ واحدـهـ:

﴿فَأَخْذُنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[سورة الأعراف : ٩٥]

ثلاث آيات:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ إِذَا دَعَكُمْ لِمَا يُحِبُّكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾

[سورة الأنفال : ٢٤]

﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلُمْ أَنَّمَا يَتَبَعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ مَنْ أَتَبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[سورة القصص : ٥٠]

الآية الثالثة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرِيْبٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَخْذَنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَرَّعُونَ﴾

[سورة الأعراف : ٩٥]

﴿ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ أَبَاعَنَا الضَّرَاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخْذَنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

[سورة الأعراف : ٩٥]

يا أيها الأخوة الكرام: هنيئاً ثم هنيئاً ثم هنيئاً لمن استجاب الله بدعوته البينية، خطبة سمعتها، كتاب قرأته، شريط سمعته، ناصح نصحك، عالم بين لك، واعظ وعظك، انتهى! فإن كنت موتقاً استجبت عندئذ يقول الله لك:

﴿مَا يَفْعُلُ اللَّهُ بِعَدَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمْتُمْ﴾

[سورة النساء : ١٤٧]

أيها الأخوة الكرام: حاسبو أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنو أعمالكم قبل أن توزن عليكم، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنتحذر حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هوها، وتمنى على الله الأماني، والحمد لله رب العالمين.

\* \* \*

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولـي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، صاحب الخلق العظيم ، اللهم صل وسلـم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## حجاب الفتاة الملزمة في التعليم الإعدادي والثانوي :

أيها الأخوة الكرام: موضوع خاص في رمضان دُعِيَ عدد ممن يعمل في حقل الدعوة إلى الله إلى مأدبة إفطار، وكان الذي دعانا من أصحاب القرار، وقد ناب عن السيد رئيس الجمهورية لتكريم العلماء، وطُرحت في هذا اللقاء موضوعات كثيرة تهم المسلمين في هذا البلد الطيب، وكان من هذه الموضوعات حجاب الفتاة الملزمة في التعليم الإعدادي والثانوي، وذكرنا له أن بعض مديرات هذه المدارس يجبرن الطالبات على خلع حجابهن، فقال بالحرف الواحد - وأنا أنقل كلامه بالحرف الواحد - ليس في بلدنا كله جهة مخولة أن تُكره الفتاة على خلع حجابها، ولا أن تُكرهها على وضع الحجاب، فكما تشاهدون أن الفتاة حرّة في أن تخلي الحجاب وتتعرى، هي أيضاً حرّة في أن تضع الحجاب وتتستر، هكذا التوجيه، وكل ما جرى من قبل ممارسات شخصية لا تعبر عن موقف الجهات العليا في الحجاب، قلت له: أبلغ الناس بهذا الأمر على المنابر في صلاة الجمعة؟ هذا الموقف الطيب الذي يريح المسلمين الملزمين بدينهم وبتربيتهم ببناتهم تربية إسلامية؟ قال: نعم، قلت له: وإن أصرت إحدى مديرات الثانويات على إكراه الفتيات على خلع الحجاب أنبلغكم اسمها؟ قال: نعم، ستعاقبها، هذا ما جرى وأنقله إليكم بأمانة ودقة، ثم بلغني قبل أيام أن هناك تعميماً قد جرى تبليغه للجهات المعنية ولا أدرى ما إذا كان شفوياً أو كتابياً ولكن يا أيها الأباء الكريمين إذا أخبرتك ابنتك أنها أجبرت على خلع الحجاب فاذهب إلى المديرة وبلغها هذا الذي قلته لكم، فإن انصاعت حلّت المشكلة، وإن أصرت فأبلغنا اسمها كي نرفعه للجهات الرسمية كي تتعلّم بها ما تراه مناسباً.

## الدعاء :

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافت، وتولنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا واصرف عنا شرّ ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، سبحانك إله لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت، تبارك ربنا وتعاليت، ولك الحمد على ما قضيت، نستغرك ونتوب إليك، اللهم هب لنا عملاً صالحاً يقربنا إليك، اللهم أعطنا ولا تحرمنا، أكرمنا ولا تهنا، آثرنا ولا تؤثر علينا، أرضنا وارض عنا، أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشرنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها مردنا، واجعل الحياة زاداً لنا من كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، مولانا رب العالمين، اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وبطاعتك عن معصيتك، وبفضلك عمن سواك، اللهم لا تؤمنا مكرك، ولا تهتك عنا سترك، ولا تتسبنا ذكرك يا رب العالمين، اللهم بفضلك ورحمتك اسقنا الغيث ولا تجعلنا من القانطين، ولا تهلكنا بالسنين، ولا تعاملنا بفعل المسيئين، يا رب العالمين، اللهم كما أقررت أعين أهل الدنيا بدنياهم فأقرر أعيننا من

رضوانك يا رب العالمين، اللهم بفضلك ورحمتك أعلِّ كلمة الحق والدين، وانصر الإسلام وأعز المسلمين، وخذ بيده ولا تهم إلى ما تحب وترضى، إنك على ما تشاء قادر، وبالإجابة جدير.

**والحمد لله رب العالمين**